

على هامش معالم التقريب *

الطاقة الروحية

يعود محمد عبد الله محمد، فيذكر القارئ بأنه لا يقصد عما يكتبه سوى لم الشمل وجمع كلمة المسلمين، وأنه لا ولم يُرد الجدل الفلسفى قط .. وإنما هو يخاطب المسلمين لافتا إلى أن الإسلام هو بدهة وحود الرب - سبحانه وتعالى - فى قلب المسلم السوى وعقله .. وهذا الحضور الربانى يغمر وجود كل مخلوق آخر .. صغر أو كبر .. وهذا يضعنا أمام الفكر الحديث فى مواجهة لا يهرب منها .. فهذا الفكر بالعب التكبر لا يعترف بالله - عز وجل - إلا إذا دخل من بابة هو وأنت له هوته - سبحانه ليس كمثل شىء - وفقا لمقاييس هذا الفكر وبراينيو . بينما من المحال أن يبدأ فكر المسلم باليسة ليربه عز وجل - إلا من قوله تعالى : " قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " (إبراهيم ١٠) .

إن الإسلام لا يتصور ارتقاء البهيمة إلى إنسان، وإنما يتصور وينشد ارتقاء الإنسان إلى إنسان أفضل . والإنسان فى الإسلام بالله و الله، من أول يوم خلق، من الأزل إلى الأبد . لا تبدأ إنسانية الإنسان من انحصار الفرد فى الأشياء الجزئية التى تصافح حواس الحيوان، وإنما تبدأ الإنسانية من الإحساس الرائع بالكل خارج الأشياء وفيها وخلفها وأمامها وفوقها وتحتها وحولها .

هذا الإحساس العلوي الذي لا نظير له في عالم الطبيعة، هو أساس الذي بنى عليه عالم الإنسان بكل ما فيه من حق وخير جمال . نرى هذا المعنى في قوله تعالى : " فَأِدَا سَوِيَّتُهُ وَتَفَخَّتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ " (سورة ص ٧٢) .

هذه الطاقة الروحية التأسيسية التي ميز بها المولى آدم وبنيه من عده نعمة عظيمة .. وهذه النعمة العظيمة قوة لا تستطيع عقولنا أن نتعرف ماهيتها وإن كانت تستطيع أن تسجل وتتبع تأثيرها بظواهرها .

وهذه الطاقة الروحية حزة في تكوين الأدمى .. لا يخلو منها إلا شاذ الشائه .. وفقدتها نهائيا من قبيل العاهة، بل هو عاهة العاهات . وهذه الطاقة الروحية تكمن خلف الطاقة العقلية والعاطفية ومضفورة معها .. وحين تنشط هذه الطاقة الروحية أو تجبو - تتأثر بها عقولنا وعواطفنا وتسجل تأثيرها في ذاكرتنا باللغة المألوفة لنا .. وتأثير هذه الطاقة الروحية فيما قد يضعف أو يهن أو يجبو، ولكنه لا ينعدم قط . ولا سبيل لتنشيطها بغير ما قدره مولاها - عز وجل - في دائرة ما قدره لها .. فهي لا تتأثر بأى تنشيط صناعى آيسا كان مصدره، أو بأى عوارض إيجابية قد يتعرض لها الإنسان .

يشدنا محمد عبد الله محمد - إلى كوننا نشعر بهذه الطاقة الروحية في التأمل حين يسحبنا التأمل ونستغرق فيه فنكف عن الحركة واللغظ والهرولة وراء حاضرتنا ومستقبلنا فى الدنيا بظواهرها ومظاهرها. نشعر بها حين نتجمع فى داخلنا فنحس بما وراء السطوح اللامعة البراقة أو العكرة الداكنة . حين نتوقف نقتنا فى الأشياء المعروضة التى تلتهمها أنظار المتدافعين المتعجلين . حين نحس وراء الوجود العادى اليومى المفكك - بوجود أكثر تماسكا وارتباطا وأكثر امتلاءً بالحقيقة والحكمة : عندئذ يمكن أن ندرك

معنى الأشياء، ونفهم سرّها .. وبهذه الطاقة ينكشف الغطاء فنرى كل شىء آية من آيات الله عز وجل .. نراها كما يقول القرآن المجيد فى كل ربيع وظاهرة وجزء ومخلوق وآية من آيات هذا الكون . نراها فى الكواكب والنجوم، وفى الشمس وضحاها، وفى القمر إذا تلاها . وفى النهار إذا جلاها .. وفى الليل إذا يغشاها .. وفى الفجر والضحى والشفق، وفى السحاب والرياح، وفى المطر والرعد والبرق، وفى البحار والجبال والوديان، وفى الحيوان والطير والحشرات والنبات . حين ينكشف عمّا الغطاء فنمسك بمعانى ما نراه ونشعر بوحدة الكون التى تسرى فى الكون وترتيبه .

وبحن نشعر أيضا بالطاقة فى الدعاء الصادق .. الدعاء الذى نفع به إلى الله عز وجل ونطرق بابه متخلين عن كل ما لدينا من أسباب القوة أو المعة أو العلم أو الخبرة أو المهارة أو الجاه والمكانة . حين ننسلخ من كل هذه المظاهر وبحصر تفكيرنا وإرادتنا فى محاطبة المولى عز وجل سائلين إياه متضرعين إليه مخلصين له الدين والرغبة فى أن يسمع دعاءنا ويحبينا إلى سؤالنا متمثلين وعده عز وجل :

" وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ " (غافر، ٦) .. وقوله تبارك وتعالى : " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ " (البقرة ١٨٦) .

إن الدعاء إيمان وتشبث بالله وإخلاص فى التضرع والحاجة إليه . هو حركة روح مباشرة نحو الله، تيقظ أملها فى الله فطرحت نفسها على بابه .. وهذا الدعاء الصادق الذى يلتقى عليه المخلوقون - يطوى المذاهب والشيع، ويتقارب به من ينشدون إجابة السماء ..

حينذاك يشعر كل المتوجهين بالدعاء، بتأثير الطاقة الروحية في
مقابلة الألم والمشقة والخطر بالرضا الحقيقي، ولا يخشون بهذا الرضا
صعاب أو يأس أو جزع، وحالمهم على قلب واحد ينطق بما
رشد إليه القرآن المجيد من قول الله عز وجل في القانتين الصابرين :

" وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي
مِرْنَا وَتَبَّتْ أَعْدَامُنَا وَانصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ
لَدُنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "

(آل عمران ١٤٧، ١٤٨) .

